عام ١٩٧٧ اصدر مجلة الف باء ملفاً اعده الصحفي ماجد احمد العزي وفيه سلط الضوء على شخصية نوري ثابت صاحب جريدة حبزبوز متتبعا مجرى حياته والاحداث التي مرت به.. عراقيون يعد نشر جز من هذا الملف المهم

عندما يذكر تاريخ الصحافة تقفز الى الذاكرة اسماء معدودة عدو اصابع اليد لعل نوري ثابت (حبزبوز) واحد من ابرزها برغم ماتزخر به الصحافة العراقية من هذا اللون في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين مما خلفه لنا كناس الشوارع - ميخائيل تيسي - وعلوان ابو شرارة - موسى الشابندر - وابو حمد - عبد القادر المميز - وخلف شوقي الداوودي - عراق شلون يسويك رقي - اما اذا كنت ممن يعنى بالفلكلور العراقي والبغدادي فان جريدة (حبزبوز) تظل الينبوع الذي يفيض عليك بالكثير والكثير برغم معاصرتها الملا عبود الكرخي ولنتاجه الذي تناثر بين دواوينه وصحفة التي اصدرها ومنها (الكرخ).

وصارع داء السل الوبيل ثماني سنوات ظل طولها ينزف دما ويسعل فلم ينل ذلك من حيويته ونشاطه وظلت (حبزبوز) اكثر من سبع سنوات تبعث في قرائها المرح والبهجة والسخرية والنقمة برغم انها كانت تحصد عمر كاتبها بكل قسوة.

نوري ثابت صحفي صارع الجهل والتخلف بالضحكات

حياة نوري ثابت

ولد نوري ثابت في السليمانية عام ١٨٩٨ في الارجح لاب عربي من محلة (بني سعيد - شارع الكفاح) كان ضابطاً في الجيش العثماني برتبة (عقيد) نشأ بها وتعلم اللغة الكردية قبل العربية فيها ثم عاد ابوه الى بغداد فادخله المدرسة الرشدية ثم الاعدادية الحربية التي تؤهله لحمل رتبة (ملازم ثان) واعلنت الحرب الاولى يوم كان نوري ثابت في الصف المنتهي من الاعدادية الحربية فمنح رتبة ملازم ثان قبل تخرجه وسبق الى ميدان القتال واسهم في الحرب بشكل فعلي فجرح فيها ثلاث مرات وظل يحمل رصاصة في يده اليمنى حتى عام ١٩٢٤ عندما اخرجت بجراحة اجريت له في بغداد ويروي الاستاذ مصطفى على ان هذه الرصاصة اثرت في يده بحيث انها اضطرته الى ان يمسك القلم بشكل غير طبيعي عند الكتابة.

وما ان وضعت الحرب اوزارها وانسلخت الاقطار التي اجبرت على الانضواء تحت لواء الامبراطورية العثمانية بحد السيف حتى وجد نوري ثابت نفسه يتوجه الى وطنه ثانية ليضع امكاناته في خدمة تطويره.

العودة بعد الحرب

عاد نوري ثابت الى بغداد فاشتغل اولا مدرسا في المدرسة الجعفرية ثم التفيض (وكانتا اهليتين) بعدها التحق بوزارة المعارف فعين مدرساً في دار المعلمين الاولية حيث ظهرت مواهبه فيها أول مرة فلقد تعهد الحركة الكشفية في دار المعلمين وعندما وجد ان الايعازات وتفاصيل التدريب مازالت باللغة الكردية اضطلع بترجمتها الى العربية. ويروي الاستاذ عبد المجيد حسن (وهو واحد من طلابه وقد زامله في التدريس فيما بعد) ان تنشد في الدار وبعض مدارس بغداد في اوائل العشرينيات باللغة التركية ويوم تنادى الشعراء لنظم الاناشيد العربية - والرصافي احدهم انبرى نوري ثابت لتلحين بعضها مستفيداً من المامه الكبير بالموسيقى ومن معرفته العزف على العود والكمان ولقد ظلت مدارس بغداد تردد نشيد :

بالقنا والقضب
شيد مجد العرب

ولم يقصر نوري ثابت نشاطه على هذين الامرين بل تعداهما الى كتابة المسرحيات الساخرة ثم المشاركة في التمثيل بطلا ... على ان مهمات الاخراج والماكياج والديكور - على بساطتها - كانت بعهدته ايضا: ولا اشك في ان النقدات اللاذعة التي كان يوجهها نوري ثابت الى الحكم من خلال مسرحياته هي التي دعت النظام وقتذاك الى ان يضعها في الصف المعادي له ... وهذا التشخيص انتهى به الى النقل من الدار الى الاعدادية المركزية مدرسا فمعاونا ثم مبعدا الى كركوك كمدير متوسطة فيها .. لقد كان نوري ثابت نقطة ضوء .. مجموعة مواهب .... معينا يتدفق حيوية ونشاطا وابداعا .. طاقات هائلة لاتعرف الكلل والملل.

حكاية داء السل

وفي كركوك كانت الطامة الكبرى التحق نوري ثابت بوظيفته كمدير متوسطة كركوك وكان احد زملائه من المدرسين مصابا بمرض السل وكان يزوره، فلفت نظره (عود) كان معلقا في غرفة زميله المريض وكان نوري ثابت مايتداول من ايعازات (يس ... يم .. سر .. الى اليمين در ... الى اليسار در ... وهكذا) الى يومنا هذا كان يفضل ماترجمه نوري ثايت من التركية الى العربية. وكانت الاناشيد التي عازفا فسال عما اذا كان ممن يضرب عليه فعلم انها زوجه فكان ان توطدت العلاقة بينه وبين زوج زميله المريض، ومات الاستاذ المريض بدائه يقول السيد مصطفى طبرة ابن عم زوجه الثانية وواحد من الرسامين الكاريكاتيريين لجريدة حبزبوز .. يقول ان الاستاذ المريض ابدى رغبة في ان يتزوج نوري بزوجة ان وافاه الاجل وبرغم علمه بان الارملة الحسناء هي الاخرى كانت مصابة بالسل الا ان جمالها الفائق اغرى نوري ثابت بالزواج منها وبعد اشهر قليلة من زواجه بها بدت اعراض المرض فكان على حد قوله (يد تمسك الكاس واخرى تمسك السيكارة) وانتهزت السلطة اللغط الذي دار حول زواجه من الارملة الحسناء فكان ان فصل من وظيفته عام ١٩٣١,

حكاية الذيل

عام ١٩٣٠ وعند مجيء نوري السعيد الى الحكم شعرت السلطة وقتذاك ان الحركة الوطنية اخذت تنشط بشكل اصبحت تشكل نوعا من الخطر ان ترك المجال لها لان تعمل وتنشر وعيها ولهذا اخذت تخطط من اجل كم الافواه ومن اجل ان تكسب شيئا من الشرعية على تصرفاتها هذه اخذت تسن بعض المراسيم الجائرة ومنها (الذيل) والذيل هذا هو ذيل قانون انضباط موظفي الدولة الذي صدر عام ١٩٣١ فكان ضحية هذا (الذيل) الكثير من الموظفين الذين الصقت بهم شتى التهم من اجل ابعادهم عن الوظائف كممارسة من ممارسات الضغط عليهم لصرفهم عن السياسة وكل من فصل بهذا القانون كان يقال عنه (ضربه الذيل) يروي الاستاذ مصطفى علي يقول : كنا في رحلة - وادي المرائش - انا وحبزبوز وشكري محمود الحمداني فجاء من اخبرنا بفصل حبزبوز فتوقعناه فيظنني اخائيا (منسوب الى حزب الاخاء الذي يرأسه ياسين الهاشمي) وانا اقسم لكم بالبيان الهاشمي (نسبة الى ياسين الهاشمي) الرفيع وبتربة الكيلاني (ويعني رشيد عالي الكيلاني معتمد حزب الاخاء) المقدسة ينصب من هذه الزيارات على انني لست هذا . ويذهب البعض مذهبا اخر فيظنني تقدميا (منسوب الى حزب التقديم الذي يراسه عبد المحسن السعدون) لصلة قرابة تجمعني مع بعض رجال هذا الحزب (ويعني عبد العزيز القصاب زوج اخته الذي كان واحدا من اقطاب حزب التقدم) فانا اقسم لكم (بالمسناية مال) مسناة خضر الياس (مشيرا الى مسناة) دار يوسف السويدي حيث يلتقي اعضاء حزب التقدم واقسم لكم بمسبحة معالي القصاب (يعني عبد العزيز) على انني لست كذلك . ويراني البعض اتظاهر بالوطنية المتطرفة وادغدغ احيانا محلة الكريات (حيث تقع السفارة البريطانية) فيظنني من الحزب الوطني فانا اقسم لكم بجبة معالي جعفر ابو التمن واقبل الايادي البعضة لكل من محمود رامز والاخ البدري (وكلاهما من اقطاب الحزب الوطني) فاقول (هو منهم). ويذهب فريق اخر مذهبا بعيدا نحو الماضي فيظنني من الحزب الحر العراقي المحروم والكل يعلم انني ماضربت (لكمة) في الترجمانية (حيث بستان عبد الرحمن النقيب رئيس الحزب الحر (ولا تناولت طعام الافطار في ليالي رمضان في الدركاه (دركاه ال الكيلاني). اذن لم يبق الا شيء واحد وهو انني لا الى هؤلاء اي الاحزاب.....يعني (حزب الاعجاب بادمغة الاخائيين (منسوب الى حزب الاخاء الذي يرأسه ياسين الهاشمي) وانا اقسم لكم بالبيان الهاشمي (نسبة الى ياسين الهاشمي) الرفيع وبتربة الكيلاني (ويعني رشيد عالي الكيلاني معتمد حزب الاخاء) المقدسة ينصب من هذه الزيارات على انني لست هذا . ويذهب البعض مذهبا اخر فيظنني تقدميا (منسوب الى حزب التقديم الذي يراسه عبد المحسن السعدون) لصلة قرابة تجمعني مع بعض رجال هذا الحزب (ويعني عبد العزيز القصاب زوج اخته الذي كان واحدا من اقطاب حزب التقدم) فانا اقسم لكم (بالمسناية مال) مسناة خضر الياس (مشيرا الى مسناة) دار يوسف السويدي حيث يلتقي اعضاء حزب التقدم واقسم لكم بمسبحة معالي القصاب (يعني عبد العزيز) على انني لست كذلك . ويراني البعض اتظاهر بالوطنية المتطرفة وادغدغ احيانا محلة الكريات (حيث تقع السفارة البريطانية) فيظنني من الحزب الوطني فانا اقسم لكم بجبة معالي جعفر ابو التمن واقبل الايادي البعضة لكل من محمود رامز والاخ البدري (وكلاهما من اقطاب الحزب الوطني) فاقول (هو منهم). ويذهب فريق اخر مذهبا بعيدا نحو الماضي فيظنني من الحزب الحر العراقي المحروم والكل يعلم انني ماضربت (لكمة) في الترجمانية (حيث بستان عبد الرحمن النقيب رئيس الحزب الحر (ولا تناولت طعام الافطار في ليالي رمضان في الدركاه (دركاه ال الكيلاني). اذن لم يبق الا شيء واحد وهو انني لا الى هؤلاء اي الاحزاب.....يعني (حزب

جريدة حبز بوز

ولا اشك في انه كان قد خطط لاصدار جريدته حبزبوز اثناء ماكان موظفا وانه كان يتمنى الفصل ليتاح له تنفيذ رغبته وعاد الى بغداد ليعد العدة لاصدار جريدة الا ان خصومه تصدوا له لانهم يعرفون جرأة نوري ثابت وقدرته على تعريتهم وتعرية الحكم الذي ينصرونه وكانت ثمة علاقة تربط نوري ثابت بفائق شاكر (امين العاصمة يومذاك) وكان صديقا حميما له فتوسط الدكتور فائق لدى السلطة فمنحته امتيازا لاصدار جريدة ويبدو ان السلطة منحته هذا الامتياز بعد ان اخذت منه المواثيق على ان تكون صحيفة مستقلة لاتنتمي لاي حزب من الاحزاب المتصارعة وقتذاك وبشكل صدر العدد (الاول) من جريدته(حبزبوز) وفيها يقول : ((ان هذه الصحيفة فكاهية ادبية فنية بحته على طول لاعلاقة لها توبة استغفر الله العظيم بالسياسة والاحزاب مطلقا. تختلف الظنون على مبدئي وتحوم الشكوك حول نزعتي لذا اردت ان ازيح الستار واقدم نفسي برزانة الى القراء . يراني البعض كثير الاتصال باشخاص الوزارة الحاليين معجبا برئيسهم الشاب فيظنني عهدي (منسوب الى حزب العهد الذي يرأسه ياسين الهاشمي). وفي الحقيقة انني اقسم بقضبان الحديد في البالكون المعهود(كان اقطاب حزب العهد يلتقون في عيادة الدكتور فائق شاكر ويتخذون من شرفته البالكون مكانا لهم) على انني لست ذاك. ويرني البعض اكتب في جريدة الاخاء الوطني وشديد سز) وهنا اقسم لكم وهو القسم الاخير بحياة الشيخ علي (واظنه من اعوان الجواهري في واحدة من صحفه)على انني لست كذلك. اذن من انا؟ وما نزعتي؟ انا حبزبوز وحبزبوز فقط خادم الجميع وساع وراء تحسين صحيفتي التي ستكون فكاهية فنية ولعلي اصل بها الى حد الصحف المصرية او السورية مثل الفكاهة والكشكول والدبور والمضحك المبكي . وعلى الله وحده اتكالي وهو خير معين ونصير . أ- حبزبوز وقد بقيت جريدة حبزبوز تصدر حتى عام ١٩٣٨ حيث توقفت قبيل وفاته بقليل بعد ان اشتدت عليه وطأة المرض فطرحته في الفراش واقعدته عن الكتابة . على ان نوري ثابت لم يف بوعده الذي قطعه على نفسه من ان جريدته بعيدة عن السياسة فلقد كانت والى يوم حجبها سوطا قاسيا الهب ظهور رجال السلطة وعراهم بشكل جريء لم يسبق له مثيل من قبل

السل والخمرة التهما حياته

لم يدم زواج نوري ثابت طويلا فقد توفيت زوجته جراء مرض ولم تخلف وعاد نوري ثابت عازبا مرة اخرى وبقي فترة قصيرة قاربت السنتين تزوج بعدها من ابنة خالته سامية طبرة وكانت طالبة في الصف الثاني المتوسط فتركت المدرسة واثناء زواجه منها نقل داء السل الكامن فيه اليها فاصيبت هي الاخرى به ثم نقلته الى اختها فاصيبت به هي الاخرى كذلك ومن زواجه الثاني رزق بولد اسماه ثابت ولهذا اشتهر بين اصدقائه ومحبيه بابي ثابت. ولم يعش ثابت اكثر من ستة اشهر مات بعدها بذات السحايا فلم يخلف نوري ولدا غيره ولقد عملت زوجته ما في وسعها لان تشد نوري ثابت الى البيت وان تهيئ له الاجواء لان يعمل وينتج الا انه كان مرهقا فهو وحده يكتب جريدته بكاملها لايعاونه في الكتابة احد سوى مشرف واحد على الامور الادارية والمالية وكان يضطلع بهذه المهمة في بداية الامر السيد حاتم الكرخي ابن الملا عبود والذي جاء بعده ناصر جرجيس الذي بقي ملازما له حتى احتجابها نهائيا عام ١٩٣٨ . وبرغم مرضه فقد كان معاقرا للخمرة كتب مرة عام ١٩٣٦ يقول ما ملخصه: انه بعد ان ينتهي من عمله في الجريدة في الساعة الثامنة مساء يترك مكتبه الى واحدة من الحانات ويظل يشرب حتى منتصف الليل حيث ينتقل بعدها من ملهى الى ملهى ولايعود الى بيته الا في ساعة متاخرة من الليل وفي العام نفسه - عام ١٩٣٦ - ادرك ان الخمرة ستلتهم حياته وانها اضعفت جسمه من مقاومة مرضه السل فقرر السفر الى بيت الله الحرام لعل الحج يكون رادعا له عن شربها فرحل عن طريق البر وعاد مرة ثانية فعاد يشربها بنفس النهم حتى طرحه مرضه في الفراش ومات في الثاني عشر من تشرين الاول عام ١٩٣٨,

كان نوري ثابت عربيا يعتز بعروبته الى درجة كبيرة فمقالاته التي كان ينشرها خير مؤشر لمعتقده ماكان ينبه السلطة الى اغفالها لكثير من الامور التي تمس عروبة القطر منها الوظائف التي كان يشغلها بعض الهنود والانكليز والاجانب كما ان له دورا كبيرا في التظاهرات التي قامت في الموصل اثناء اثارة مشكلة الموصل يروي الاستاذ عبد المجيد حسن فيقول : - عندما اثيرت مشكلة الموصل كان عبد العزيز متصرفا له ولهذا ضمن نوري ثابت جانب السلطة لعلاقته بالمتصرف (وكان زوج اخته) فتوجه نوري ثابت من بغداد الى الموصل واخذ ينبه اهلها وشبابها الى خطورة دعوى تركيا ونشط في حشد الشباب للتظاهرات كما الف عدة تمثيليات وقدمها في مدارس الموصل ومثل فيها . ونظم شاعر الموصل اسماعيل حقي فرج مدرس اللغة العربية في متوسطة الموصل نشيدا مطلعه:

ماحكاية نوري ثابت مع قانون الذيل؟

صاحب حبزبوز يؤلف عدداً من التمثيليات تقدم في مدارس الموصل

العدد (1259) الخميس (26) حزيران 2008
No. (1259) Thu. (26) June 2008

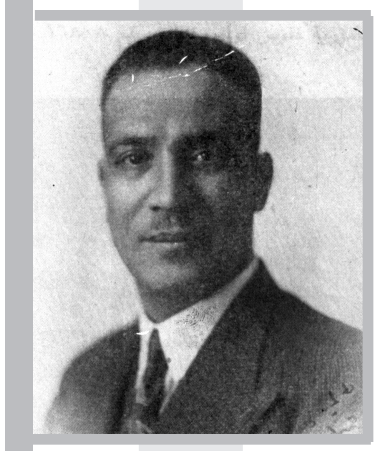

حبزبوز